

أبحاث: لتعميق ثقافة المعرفة - الدورة الخامسة الإطار البحثي العام للبرنامج

المرحلة الراهنة التي تمرّ بها سوريا هي مرحلة تحوّل وتغيير. تتطلب من الباحثين والعاملين في الثقافة المساهمة في محاولة فهم عمق وأبعاد التغير الثقافي الجاري اليوم، ولمحاولة استشراف مستقبل الثقافة في سوريا واقتراح الأطر الكفيلة بدعم الثقافة المستقلة القادرة على المساهمة في بناء علاقات المواطنة وتفعيلها.

ولإنجاز تلك الدراسات والتحليلات بمستوى علمي مقبول لابد من الانطلاق من المفهوم النظري الواسع للثقافة، الذي وضعته منظمة اليونسكو، والذي يرى أن الثقافة هي: "مجموعة متنوعة من الخصوصيات الدينية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً معيناً أو مجموعة معينة. لا تشمل الفن والأدب فقط وإنما أيضاً الحياة والحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار. وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإلى إعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه".

إن اعتماد هذا التعريف يفتح المجال أمام الباحثين لطرح الأسئلة المرتبطة بالثقافة بمستواها "النظري" والتي تهتم بمجموع "المكونات غير المادية للظواهر البشرية" وتشير إلى "بنية متكاملة من المعتقدات، المعارف، الفنون، القيم العاطفية والعادات". دون أن يعني ذلك التقليل من أولوية الأسئلة المرتبطة بالثقافة بمستواها "العملي" والتي تُعنى بالمنتجات الثقافية المادية (رسم، تصوير، صناعات يدوية، نحت، خط، الحرف، مأكّل ومشرب...) وغير المادية (أدب، شعر، موسيقى، رقص، مسرح...)، كما تعنى بالسياسات الثقافية المتبعة، أو التي يجب اتباعها للمساهمة في بناء سوريا الجديدة.

إن المرحلة التي تمرّ بها بلادنا اليوم، والتي تشكل مرحلة تغيير لا رجعة فيه، تتطلب من العاملين في الثقافة، وخاصةً الشباب منهم، دراسة التحولات التي تعيشها الثقافة السوريّة في كل أشكالها وعلى كل مستوياتها، ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الاستحقاقات التي ستواجههم غداً.

في هذا السياق يبدو لنا في *اتجاهات - ثقافة مستقلة* أن المواضيع التي يتوجب على البحث أن يتعامل معها تدرج في ستة محاور نظرية مركزية هي:

- استكشاف أشكال التوثيق والأرشفة وحماية التراث، التقليدية منها أو المعاصرة، واستشفاف دور هذا التراث في القطاعات الاجتماعية والابداعية والاقتصادية لسوريا في المستقبل.
- البحث في الصناعات الحرفية الإبداعية بما في ذلك المواد والتقنيات المنتجة لها، والخبرات المهنية المتعلقة بها ومعاني ورمزية ثقافة الأنماط المتكررة (Patterns)، إضافة إلى دراسة آليات نقل المعرفة ودراسة وتوثيق الخبرات المتعلقة بهذه الحرف وعلاقة المعلم بالعمال وانعكاس هذه العلاقات على المجتمع.
- دراسة البنى الثقافية الناشطة في المجتمع السوري والبحث في أسباب التهميش الثقافي، ودراسة ديناميات التحول في ملامح الثقافة السورية وسماتها الموروثة خلال الحراك وفي مراحل مختلفة.
- دراسة ملامح الثقافة السورية الجديدة المتولدة أثناء الحراك. واستشفاف آفاقها وإمكانيات تطورها بعد انتهاء الأزمة.
- دراسة الاتجاهات الفنية والإبداعية للمنتجات الفنية السورية والغنائين السوريين أينما كانوا، إضافة إلى الاقتصاد الإبداعي.
- دراسة إدارة عملية التغيير الثقافي الفاعلة وأشكال التدخل الممكنة.

أما مواضيع الأبحاث فلا حصر لها، ويمكن أن تتناول، إضافة إلى القضايا النظرية المحورية، قضايا ثقافية بالمعنى العملي للكلمة، أي كل ما يرتبط بعمليات الإبداع الفني والأدبي والفكري والموسيقى التي تواكب عملية التغيير، إضافة إلى قضايا الإدارة والسياسات الثقافية، والقضايا المتعلقة بالمؤسسات المعنية بالشأن الثقافي، البحث في المجال العام الثقافي، الموارد الثقافية السورية ودورها خلال الأزمات، تحليل الخطاب الثقافي، والبحث في الحذور الثقافية للصراع.

لقد أورث تاريخ سوريا في العقود الأخيرة آليات تفكير ترى في السياسة والعمل السياسي الرافعة الأولى لتطوير المجتمع وتقدم الإنسان، وترى في العاملين في السياسة الأشخاص الوحيدين القادرين على الاضطلاع بمهام التنمية وقيادة عملية التغيير. لكن التجارب تعلمنا أن الثقافة وأهلها ومبدعيها هم أصحاب اليد الأعلى في رفعة البلاد وتطوير المجتمع. وعليه، يتوجب بذل الجهد اللازم لتطوير عمل المؤسسات الثقافية ولدعم العاملين في المجالات الثقافية كافة.

وتتطلع في اتجاهات - ثقافة مستقلة إلى أن يشكل هذا البرنامج مساهمة مهمة في هذا الجهد المطلوب وذلك من خلال العمل على بناء قدرات الباحثين والعاملين في الثقافة ومن خلال توفير عدد من البحوث التي يمكن أن تشكل مرجعية للمشاريع الثقافية التي ستتهض بسوريا الجديدة.